

دوامة الضياع

دولة الرئيس العماد ميشال عون

من الطبيعي أن يتساءل كل معني بالشأن اللبناني، بصرف النظر عن هويته، أكان لبنانياً أم أجنبياً، عن أسباب التعقيد في الأزمة اللبنانية، ولماذا تبدو وكأنها أكبر من الوطن الصغير، ففي الوقت الذي يبدو فيه اللبنانيون مُجمعين شعبياً على وجوب الانسحاب السوري من لبنان، لا نرى التجسيد اللازم لهذه الإرادة على مستوى القيادات الشعبية، لا بل على العكس، نرى بعضها تسلك اتجاهاً عكسياً، وتنسحب من المعركة، مسجلةً هروباً فاضحاً أمام مسؤوليتها في هذه المرحلة الصعبة من تاريخ لبنان.

وإذا كان لا بد للانسحاب العسكري من تغطيته بستائر دخانية، فإن الانسحابات السياسية أيضاً تغطى بستائر من المواقف الإعلامية المشينة، التي تتناقض كلياً مع الحقائق البدائية للأزمة اللبنانية، ومع القيم التي تشكل المرتكز الأساسي في بناء المجتمعات الإنسانية. صحيح أن هذه المناورات السافلة تبقى مكشوفة أمام الرأي العام، وقليلاً ما تؤثر به، كما أن الأكثرية الساحقة لا تأخذها بعين الاعتبار، ولكنها في الوقت ذاته، وبسبب سلبيتها، تضيع عليها، فرصة تكوين رأي عام إيجابي شامل حول أي قضية مطروحة، وتدخلها في دوامة من الضياع.

لا يطلب من أي كان أن يكون بطلاً أو شهيداً، ولكن أن يكون معانداً سلمياً للاحتلال المتحكم في مصير اللبنانيين مجتمعاً وأفراداً، فيوفر للمواطنين معلماً يهتدون به؛ فمعالجة نتائج الوضع القائم لا تتم "بنتعات المشايخ والبكوات"، بل بمواقف ثابتة لا تتقلب وفقاً لقواعد العرض والطلب في تجارة المصالح. إن ما يعانيه المجتمع السياسي اليوم ليس بسبب عقدة الإرهاب السياسي الذي أودى بحياة نخبة شجاعة من قاداته الوطنيين، وليس الإرهاب هو السبب الأساسي في الانتهازية والانهازية التي يمارسها السياسيون، فالمرض يكمن في إرث من طباع الأسلاف والأجداد الذين استحصلوا على ألقابهم ومواقعهم من المحتلين، وما زالوا يفاخرون بهذه الألقاب التي تدل على الخيانة أكثر منها على الوجهة.

هؤلاء الذين يرتدون آخر مستجدات الأزياء، ويقتنون أفخم السيارات، ويجهزون منازلهم بجميع وسائل الحياة الحديثة، يعيشون في ماضٍ بعيد أمن لهم ما هم عليه حاضراً، وليسوا بحاجة للتفكير في المستقبل إلا بقدر ما يؤمن حاضريهم. يخترعون في كل مرحلة شعاراً جديداً ينظّلونه، ويبررون خيانتهم، وآخر همومهم أن يأخذوا على عاتقهم همّاً واحداً من هموم شعوبهم، هؤلاء المتخلفون عن القيام بواجبهم، هم بحاجة إلى سيدٍ خارجي يقدمون له الولاء والطاعة، ويؤمن لهم الحماية. فكلامهم هذا من الماضي، ومستقبلهم فيه، ولذلك هم يعودون إليه لإعاشه وبعثه حياً من خلال إثارة تناقضاته التي من خلالها يؤمنون استمرارهم، وهم اليوم أعجز من أن يفهموا معنى الأحداث وتطوراتها، ولذلك ما زالوا يتمرغون في الأوحال التي نشأوا فيها، وفيها سيغرقون. وحدهم الطليعيون المتمردون على تعصب السلفيين، وعلى نفعية التقليديين، والذين يفكرون بالمستقبل، باستطاعتهم تحسس معالم الغد، والمساهمة في بناء المجتمع الإنساني على القيم الكونية، بعيداً عن تسخير الله ومقدساته في صراعاتهم الشريرة. ومن الآن إلى حينه نعمل للمستقبل، وندعو الضالين إلى الخروج من دوامة الضياع. باريس ٢٩/١١/٢٠٠٢